

مارتن هايدغر في مناظرة كانط: مشكلة الميتافيزيقا وحدود النقد

Martin Heidegger in the Kant Debate: The Problem of Metaphysics and the Limits of Criticism



د. شنوف نصرالدين

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، (الجزائر)

Chennoufnasreddine92@gmail.com

تاريخ الارسال: 2024/11/08 تاريخ القبول: 2025/12/17 تاريخ النشر: 2025/12/28

ملخص:

في كتابه "كانط ومشكلة الميتافيزيقا" يحدد هايدغر الإشكالية الفلسفية الذي تخول له تتبع مسارات الفكر الميتافيزيقي لدى كانط، وهذا عبر ثلاثة أسئلة كبرى هي كالتالي: فيم يتمثل مفهوم الميتافيزيقا الذي ورثه كانط؟ ماهو الإمكان الفلسفي الذي ارتآه كانط لقيام الميتافيزيقا؟ ثم لماذا وضع الأساس الميتافيزيقي ضمن برامج العقل المحض؟. أما بخصوص المفهوم الذي ورثه كانط عن الميتافيزيقا فهو بالنسبة لهايدغر المفهوم الذي عبر عنه (يومغارتن) باعتبار الميتافيزيقا العلم الأول/ البدئي للإدراك البشري، أي بوصفها العلم الذي يحتوي المبادئ الأولى لما هو داخل الفهم والمعرفة البشرية، وهذا التعريف ليس إلا امتداد طبيعي لتعريف أرسطو للميتافيزيقا بما هي المعرفة الأساسية للجوهر، تتأتى أهمية هايدغر في هذا الخصوص في أنه حاول بواسطة مفهوم النقد فك الارتباط المشكوك فيه بين الميتافيزيقا والادعاءات الإيمانية المسيحية خصوصا فيما يتعلق بمشكلة تفسير العالم وأصله.

الكلمات المفتاحية:

الميتافيزيقا، كانط، هايدغر، النقد، الفلسفة.

Abstract:

In his book "Kant and the Problem of Metaphysics", Heidegger defines the philosophical problem that allows him to follow the paths of metaphysical thought in Kant, and this is through three major questions, which are as follows: What is the concept of metaphysics that Kant inherited? What is the philosophical possibility that Kant saw for the establishment of metaphysics? Then why did he place the metaphysical foundation within the programs of pure reason? As for the concept that Kant inherited from metaphysics, for Heidegger it is the concept expressed by (Baumgarten) considering metaphysics as the first/primitive science of human perception, that is, as the science that contains the first principles of what is within human understanding and knowledge, and this definition is nothing but a natural extension of Aristotle's definition of metaphysics as the basic knowledge of essence, Heidegger's importance in this regard comes from the fact that he tried, through the concept of criticism, to sever the questionable connection between metaphysics and Christian faith claims, especially with regard to the problem of interpreting the world and its origin.

key words:

Metaphysics, Kant, Heidegger, criticism, philosophy

مقدمة:

لقد أصبحت الديكارتية والكانطية عبئاً على الفلسفة في تقدير هايدغر، وبالرغم من أنهما فلسفات قامت على الإرث الأفلاطوني والأفلاطونية المحدثه، فإننا في مقابل ذلك نسجل نهاية هذه الفلسفات واستمرار الأفلاطونية، لقد شكلت اللحظة الأفلاطونية قدر ومصير الفكر الغربي برمته ولم تستطع الحداثة الغربية التحرر والخروج من دائرة التفكير الأفلاطوني. وإن ما يقصده هايدغر بالميتافيزيقا هو هذا بالضبط، المسار الطويل من أفلاطون إلى نيتشه وطريقة هؤلاء جميعاً في قول الوجود، أو كيف فكر الفلاسفة من أفلاطون إلى نيتشه في سؤال الوجود؟ هذا السؤال يمكنه أن يكون عنوان لكل تفكير هايدغر في الميتافيزيقا وحولها. فالانطلاقة الجديدة للفكر الفلسفي التي زعمها ديكارت تبدو وكأنها محكومة بسوابق إجبارية مما جعل من المراحل التالية لها تهمل كليا التحليلية الأنطولوجية التي تأخذ في اعتبارها سؤال الوجود، لتأخذ الروح كتسمية مركزية وتنخرط في تفسير نقدي مع الأنطولوجيا القديمة التي أضحت في حيازتها.

وكنتيجة للمناقشة الهايدغرية لميتافيزيقا المعرفة من خلال التحليل الهرمينوطيقي لأنطولوجيا العقل الكانطية، وبناءً على تفكيكه الفينومينولوجي (التقويض) لـ "cogito sum" فإن محصلة المتابعة الهايدغرية للفلسفة الكانطية قد اختزلها هايدغر في تأكيده الحاد في كتابه كانط ومشكلة الميتافيزيقا على أن كانط قد فشل، وإن فشله ليس واقعة معزولة بل فشل نمط من التفكير وفشل تقليد ميتافيزيقي بأكمله، فبالرغم من أن كانط قد حاول تثبيت المحتوى الفينومينولوجي لأننا إلا أنه إنقاد في نهاية الأمر إلى أنطولوجيا الجوهر، بحيث بقيت الأنا كموضوع السلوك المنطقي، وفي هذا السياق العام يمكننا طرح الإشكالية التالية: ما موقف الفلسفة المعاصرة من الميتافيزيقا؟ وكيف تجاوز فلاسفة ما بعد الحداثة الطرح الحديث لسؤال الميتافيزيقا؟ وعلى أي أساس منهجي أقام الفلاسفة ما بعد الحداثيون أطروحاتهم الفلسفية بخصوص نقد الميتافيزيقا؟.

ولمعالجة هذه الإشكالية كان لزاماً علينا، وهذا بناءً على طبيعة الموضوع أن نستخدم استراتيجية منهجية تشمل على الأقل ثلاث مناهج أساسية: المنهج التحليلي والمنهج النقدي والمنهج التاريخي، أما المنهج التحليلي فإن استخدامه هنا هو من الضرورة بمكان، خاصة وأن الأصل في الدراسة هو تحليل قضية الأنطولوجيا على ضوء سؤال الميتافيزيقا وموقف الفلاسفة الحداثيين منه، أما بخصوص المنهج النقدي فذلك لأن جانب مهم من الدراسة يتركز على نقد الفيلسوف مارتين هايدغر وغيره من فلاسفة الاختلاف والتفكيك للتصور الديكارتية الكانطية للميتافيزيقا، وبالتالي فإن العملية النقدية هنا هي هدف رفيع للدراسة.

تنبثق عن هذه الدراسة مجموعة من الافتراضات المهمة جدا يمكننا حصرها في ثلاث فرضيات رئيسية هي كالتالي:

- الطرح الفلسفي لسؤال الميتافيزيقا قديما كان يتضمن عنصراً عرقياً وإيديولوجياً.
- الطرح الفلسفي لسؤال الميتافيزيقا حديثاً ظل يقوم على بنية فكرية خفية لاهوتية ولا علمية بالمعنى الحقيقي للكلمة.
- الطرح المعاصر لمسألة الميتافيزيقا تقوم على رؤيتنا للوجود ورؤيتنا للعالم وتحديدنا تنخرط ضمن مسألة الكينونة.

1. نظرية المعرفة عند إمانويل كانط

في هذا العنصر نحاول التطرق بصفة مباشرة إلى نظرية المعرفة عند كانط و الثورة النقدية التي أحدثها في تاريخ الدرس الفلسفي مع ثلاثيته النقدية: نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي، ونقد ملكة الحكم، والذي من خلالهم حاول تبين حدود المنهج العقلي والتجريبي معا وأيضاً الحدسي والتعويل على النقد باعتباره خاصية التفكير الفلسفي.

1.1 المعرفة النقدية وسؤال المنهج:

لقد عمل كانط في إطار ميتافيزيقا النقد المتعالي على التفريق بين شكلين من الفلسفة، وأعني بذلك الفلسفة المادية والتي في نظره تقوم على أسس التجربة والفلسفة الخالصة التي تأخذ نظرياتها من المبادئ القبلية، أما الفلسفة الخالصة إذا ما اتصفت بالصورية فتكون أقرب ما تكون إلى المنطق، في حين لما تكون مقصورة على الموضوع بعينه فإنها تصبح ميتافيزيقا، فالميتافيزيقا لدى كانط هي ذلك العلم الذي يتأسس على القبلي من التصورات الخالصة، على هذا الأساس يميزها على المعرفة التجريبية، إن ميتافيزيقا كانط "تحاول أن تركز بحثها على موضوعين أساسيين هما : الطبيعة الجسمية وإرادة الكائنات العاقلة (...)" إنها كل نظام قبلي في البحث يعين شروط المعرفة العقلية الخالصة وحدودها (...)" فهي بذلك عبارة عن "نقد النقد" بعبارة كانط" (كانت، 2002، صفحة 23) وفقاً لذلك يقسم الميتافيزيقا إلى مبحثين أساسيين هما ميتافيزيقا الطبيعة وميتافيزيقا الأخلاق .

يسعى كانط ضمن السعي لبناء إبستمولوجيا متكاملة إلى مجاوزة ما يمكن تسميته بالميتافيزيقا الدوغمائية، هذه التي تجاوزت محدودية وطاقة العقل البشري وخرجت على حدوده، وأيضاً ارتفعت فوق إمكان التجربة ذاتها، لقد سعت الميتافيزيقا الدوغمائية المتعصبة إلى الوصول إلى معرفة الأشياء وبناء المعرفة من خلال التطرف في استعمال العقل والتجربة دون تحقيق التكامل المنهجي بينهما، يأتي النقد الكانطي في هذا السياق مؤكداً على ضرورة احترام حدود التجربة والعقل معاً.

تنطلق ميتافيزيقا كانط من ثلاثة تساؤلات أساسية هي: ماذا أستطيع أن أعرف؟ ماذا يجب عليا أن أفعل؟ أي أمل أستطيع أن آمله؟، إضافة إلى سؤال قد وضعه في كتابه المنطق (1800) وجاء بصيغة: ما هو الإنسان؟ (كنت، 2008، صفحة 19). يؤكد كانط أنه بإمكاننا إرجاع ميدان الفلسفة إلى هذه الأسئلة الأربعة الكبرى.

يرى كانط أن مصدر التصورات العقلية هو العقل ذاته، أما غاية نقد فهمي العودة إلى سؤال الأصل، أصل الميتافيزيقا ومبادئها وكيف السبيل لأن تكون علما؟. إن معرفة شيء ما بواسطة العقل يبقى هو نفسه الشيء بالنسبة للمعرفة القبلية، لا فرق بين المعرفة بالعقل والمعرفة قبلياً، ولا تكون المعرفة الميتافيزيقية إلا كمعرفة قبلية نابعة من العقل المجرد أو الذهن المحض، وإن كانط يفرق بين الأحكام التركيبية والأحكام التحليلية، بحيث ما يتناسب مع المعرفة الميتافيزيقية التي هي معرفة فلسفية مجردة أقرب ما تكون إلى الرياضيات البحتة الأحكام القبلية وهذا ما تقتضيه القضية الميتافيزيقية، يقول كانط: "أما عن مصادر المعرفة الميتافيزيقية فنقول أولاً أنها بتعريف تصورها نفسه لا يمكن أن تكون تجريبية، ولا يمكن أبداً استعارة مبادئها من التجربة، ذلك لأنه لا ينبغي أن تكون هذه المعرفة معرفة فيزيائية، بل يجب أن تكون معرفة ميتافيزيقية أي معرفة تتجاوز حدود التجربة، وبذلك فلا التجربة الخارجية وهي مصدر على الطبيعة بمعناه الخاص ولا التجربة الباطنة وهي الأساس الذي ينبنى عليه على النفس التجريبي، تصلحان أساساً لها" (كانط، 2001، صفحة 4) إنها معرفة قبلية خالصة وهذا ما لم يدركه السابقون.

2.1 كانط ومسألة الميتافيزيقا

يتساءل كانط: كيف تكون الميتافيزيقا ممكنة؟ وأي طريق يسلكه العقل من أجل الوصول إليها؟ (كانط، 2001، صفحة 13)، ويعتقد بأن العقل البشري لم تسمح له الفرصة بعد لتأسيس علم الميتافيزيقا وفقاً للمعرفة السائدة آنذاك بيد أن الميتافيزيقا التقليدية قد قضت على كل إمكانية لتصيير علما قائما بنفسه مصداقاً به، وكان على الفلاسفة أن يقاربوا بين الرياضيات والميتافيزيقا، لأن وحدها الرياضيات من يمكنها حماية الميتافيزيقا عندما تهدر كرامتها، كونهما يشتركان في الطابع العام المكونين منهما.

ينبها كانط إلى ضرورة الفصل بين الأحكام التركيبية القبلية التي هي أساس الميتافيزيقا وبين الأحكام الميتافيزيقية التي عليها يبنى صرح الميتافيزيقا، لا يمكن إنكار حاجة الميتافيزيقا إلى الأحكام التحليلية من خلال إيضاح التصورات، لكن ومع ذلك فإن "إنتاج المعرفة القبلية بالنظر إلى العيان وكذلك إلى التصورات وأخيراً إنتاج القضايا التركيبية القبلية فيما يختص بالمعرفة الفلسفية بمعناها الدقيق يؤلفان المضمون الأساسي للميتافيزيقا" (كانط، 2001، صفحة 19).

يحاول كانط الوقوف على خصائص الحكم القبلي الذي هو إيمان الميتافيزيقا فالتجربة بالنسبة إليه لا يمكنها أن تعطي لأحكامها تلك التآلفية الشمولية الحقيقية، بل هي فقط تمنح أحكامها ما يسميه بكلية مفترضة ومقارنة من خلال الاستقراء، إن الحكم القبلي وما يميزه من كلية صارمة يخلو من أي

استثناء ممكن لا يمكن للتجربة اشتقاقه، بل هو حكم لا يصدق إلا على نحو قبلي بإطلاق، "إن الضرورة والكلية الصارمة هما إذن ميزتان موثقتان للمعرفة القبلية، ترتبط إحدهما بالأخرى ارتباط لا ينفصل" (كنط، 2002، صفحة 46)، وإن الفلسفة في عمومها ولضمان استمرارها لا بد لها من العناية بمبحث الميتافيزيقا كعلم يعين إمكان كل معرفة قبلية ومبادئها وما صدقتها، وهذا العلم هو بلا أدنى شك الميتافيزيقا الذي يقتضي قيامه مجاوزة "حدود التجريبية وتخطي عالم الحس، وهو بلا شك من شأن العقل المحض الذي يختص بمشكلات من سبيل الله والحرية والخلود (...) لكن نجاح علم الميتافيزيقا مرهون بمدى مجاوزته للدوغمائية التي تحاول بثقة تحقيق الهدف دون أن تعلم حدود التجربة وبدون أن تفحص قدرة العقل وإمكاناته" (كنط، 2002، صفحة 47).

يحاول كانط تشييد ميتافيزيقا خاصة بالأخلاق وأيضاً ميتافيزيقا الدين، فالأخلاق بما هي قائمة على مفهوم الإنسان لا تحتاج أبداً إلى الدين، بل يمكن تأسيس الأخلاق على الأخلاق ذاتها كونها مكتفية بنفسها، إن مفهوماً بحجم الضمير يمكنه أن يكون لوحده الأساس الأخلاقي للأخلاق، زيادة على أن ميتافيزيقا الدين عنده تقتضي ضرورة إخراج الدين من مستوى الطقسية والشعائر إلى رحاب الحرية، وحده الإيمان المخلص ما يعكس حرية التدين من دون أي نية للثواب والأجر، على أن تكون النية الخالصة لفعل التدين وحده، كما تجدر الإشارة أنه "لا يصلح من الدين إلا ما يوجبه العقل (...) وإن العدو الحقيقي ضد فكرة الدين ليس العقل بل "عقيدة كنيسة استبدادية" (كانط إ، 2012، صفحة 31)، وإن من مهام الدولة أن تحمي الدين والكتاب المقدس من أن يصبح عائقاً أمام تحقيق التنوير، كأن يتحول إلى أداة للاستبداد على عقول الناس، فلا بد للعقل الإنساني أن يمتلك إرادة الضمير والإيمان بالمقدس بحرية تامة.

2. النقد الهايدغري لميتافيزيقا الذات (الديكارتية الكانطية).

في هذا العنصر سوف نتناول مسألة النقد الذي وجهه مارتن هايدغر للفيلسوف إيمانويل كانط خاصة في كتابه "كانط ومشكلة الميتافيزيقا"، وكيف تمكن هايدغر من مناقشة قضية الوجود والكيونة عند كانط ومراجعة مفهوم النقد عند كانط الذي خرج من كونه منهجاً إلى رؤية للعالم.

1.2 مارتن هايدغر وحدود النقد الكانطي :

أمام النموذجين (ديكارت وكانط) باعتبارهما أبرز أقطاب الفلسفة الذاتية القائمة على تخوم الأنا أفكر، ومن خلالهما يحاول هايدغر تقديم تصور جذري للميتافيزيقا يتواشج أساساً مع موقف الأنطولوجيا الأساسية من الوجود والزمان وقضية العلاقة بين الوجود واللغة، وأيضاً عبرهما يمرر هايدغر نقده لأنطولوجيا الحضور وفلسفة الذاتية وامتدادات الأفلاطونية في بنى ومفاصل الفكر الغربي، إذا كان ديكارت قد أعلى من شأن الذات العارفة التي أوكل لها مهمة تقرير الوجود فإنه في مقابل ذلك قد عجز على تحديد موضوع الميتافيزيقا بدقة، ولتجاوز هذا الإحراج الموضوعاتي ميز ديكارت موضوعات الميتافيزيقا بعلامة ذاتية تحمل طابع الذات العارفة، ولهذا الميتافيزيقا عنده أشد العلوم يقيناً وإن الطريق الذي يسلكه الذهن في طلبها هو "الحس البديهي أو الاستبطان الضروري" (إبراهيم، 1997، صفحة 75).

لقد حاول ديكارت إحداث مساوقة بين علم الهندسة والميتافيزيقا من حيث يقينيته بل أكثر من ذلك قد حاول الإعلاء من يقينية الميتافيزيقا على علم الهندسة ولهذا كان يقول: "أين عرفت السبيل إلى البرهنة على الحقائق الميتافيزيقية ببراہين هي أكثر بداهة من براہين الهندسة" (إبراهيم، 1997، صفحة 76). هكذا يحيي ديكارت بلا هوادة الأصول الأساسية للفكر العقلاني التي كادت تزول بعد أفلاطون، في هذا السياق يقول هايدغر بأن ديكارت قد "ادعى في أننا أفكر cogito sum أنه وضع الفلسفة في إطار جديد، بيد أننا لن نستطيع التحقق من صحة هذا الادعاء إلا عن طريق إبراز الأساس الأنطولوجي الذي لم يعبر عنه في أننا أفكر" (سليمان، 2009، صفحة 44).

يرتبط موقف ديكارت من الوجود في نظر هايدغر بموقفه من الحقيقة، على أن لا يتم تصور الحقيقة (صدق وكذب) إلا على مستوى الفهم الإبيستمولوجي، وكما أن الحقيقة لديه هي كعين المعرفة، فإن التفكير بالنسبة له هو عين الوجود، يحاول ديكارت إقامة الحقيقة في العقل، وتأسيس التفكير على مبدأ الوضوح، وإرجاع انوجد الموجود إلى التفكير، إنه بذلك ينتقل من أولوية الوجود إلى أولوية المعرفة، ومن تقرير الوجود إلى تقرير المعرفة، وتصور وجود الذات على هيئة وجود الأشياء، لتنتصب أننا العارفة باعتبارها ما تمنح الموجود وجوده، في هذا الصدد يقول ديكارت بأن "الأشياء التي أتصورها تصوراً واضحاً جداً ومتميزاً جداً صحيحة كلها" (ديكارت، 1974، صفحة 132).

إن ما قام به ديكارت هو أنه أسس الوجود (وجود الموجود) على دعامة اليقين الإبيستمولوجي، هذه الفكرة التي تصدى لها هايدغر وبعده سارتر في قوله: "هناك إذن على قمة الكون الديكارتي إله حقيقي بأعلى صورة ممكنة هو مصدر كل قيمة وكل حقيقة، معادل للخير على قمة العالم الأفلاطوني" (جال، 2006، صفحة 16) بيد أنه لا يمكن لنا المفكرة الديكارتية أن تنصب نفسها علة الوجود، ما أخفاه الكوجيتو الديكارتي هو قول علة العلة، علة وجود الذات، أليست الذات موجود من بين الموجودات؟ فكيف أن تصبح أصل الوجود؟.

إن ديكارت بقي ضمن دوائر الفكر الوسطى عندما أخفى الحديث عن علة العلة التي هي الله، إن الله هو يقين التعيين وعلة العلة، "ما من يقين ممكن إذن إلا حين يركز على وجود الله، لأن يقين وجود الله مبدأ كل يقين" (هويدي، 1968، صفحة 21)، وإن ما يمكن تسميته حقائق كلية خالدة ليست إلا إبداعاً إلهياً، أما هايدغر فإنه يرى بأن ديكارت قد غامر بنفسه عندما مزج بين بين التفسير العلمي للأنطولوجيا وبين التفسير القرسطوي، إن الأشياء في العالم حسب ديكارت لا تبرز نفسها في وجودها الحقيقي، هذه الفكرة المستلهمة من الأفلاطونية سوف تكون في نهاية المطاف نتيجة كل الفلسفة الديكارتية من خلال تأكيده على أن الله علة الوجود والأشياء.

2.2 نقد الذاتية وبداية التفكير في الكينونة

إن هذه النتيجة الديكارتية من شأنها أن توقع الكوجيتو في مأزق، فمن خلالها نتيين حدود التفكير وقصور أننا، إن أنطولوجيا ديكارت حسب هايدغر عن العالم "لا تتحدد ابتداءً بالاستناد إلى الرياضيات، لكنها تتحدد بالأحرى استناداً إلى الاتجاه الأنطولوجي الجوهرية في الوجود بوصفه الموجودات القائمة،

بمعنى آخر لا تتحدد فلسفة ديكرت وفقا لاتجاهه العلمي، وإنما وفقا لتصوره للوجود" (سليمان، 2009، صفحة 47)، ورأس الأمر في نقد هايدغر للكوجيتو الديكرتي هو أن هذا الأخير لم يطرح قضية الوجود إلا في أفق الموجود، ليصير سؤال الموجود معه هو السؤال الأساسي بدل سؤال الوجود، إن ديكرت حسب هايدغر "لم يتجنب السؤال عن الأنطولوجيا الأساسية فحسب، وإنما أكد بوضوح على أن الجوهر من حيث جوهرته لا يمكن الوصول إليه مما هو حادث" (سليمان، 2009، صفحة 47)، بل أكثر من ذلك ذهب ديكرت إلى أن يشارك الله إنوجاد الموجود ليضحي الله وفقا لهذا الفهم عنوان أنطولوجي محض ويرجع الأمر إلى فهم ديكرت لمفهوم "الجوهر" و"الأوسيا"، أما الجوهر فهو وجود الموجود، وهكذا يقيم ديكرت مفهوم الجوهر على مفهوم الأوسيا كموجودية لتساوى لديه موجودية الموجود مع مفاهيم من قبيل الأنا العارفة والذات المتصورة.

أما كانط فإنه كان الأقرب حسب هايدغر للأنطولوجيا الأساسية، لقد كان كانط يهدف إلى البرهنة على إمكانية قيام أنطولوجيا، لكنه ظل يعتقد بأن إمكان المعرفة الأنطولوجية هو نفسه إمكان الفهم البدئي لوجوده (إ، 1971، صفحة 161)، ولا ينفصل ذلك على فهمه للأحكام، من خلال رده التمثلات إلى الأحكام وجعل التفكير أساس الحكم بل لم يعد يفرق بين التفكير والحكم (imanuel، 1950، صفحة 141) ووحده النقد ما يسمح بقيام الميتافيزيقا كعلم يمكنها من الاقتراب إلى طريق العلم الوضعي وليس للنقد الكانطي حسب هايدغر أي دلالة أخلاقية وإنما هو تقنية منهجية لتأسيس الميتافيزيقا بما هي العلم الذي يتضمن مبادئ المعرفة الإنسانية الأصيلة. لم يكن يقصد كانط تحويل الفلسفة إلى نقد حسب هايدغر، وإنما كان يريد أن يسخر النقد من أجل تصيير الميتافيزيقا معرفة مفاهيمية مجردة وليست عبارة عن منطق، إنها ما به يمكن معالجة قضايا غيبية من قبيل الله والنفس والعالم (Heidegger، 1963، صفحة 6).

3. في السؤال عن الكينونة: نحو ميتافيزيقا أنطولوجية

1.3 ثنائية الكينونة والميتافيزيقا: مقارنة فلسفية

يرى هايدغر أن المرحلة الحديثة من الفكر الفلسفي هي مرحلة سقوط الكينونة، أو بلغة أخرى هي مرحلة نسيان الكينونة، في حين يسمي هايدغر المرحلة اليونانية في تعقل الكينونة بأنها مرحلة الانبلاج لقد تصور اليونان الكينونة على أنها الحضور والدوام. ومهما اختلفت التمثلات ستظل الكينونة لدى اليونان عبارة عن الشيء الدال على الحضور¹، هذا قبل أن تجعل الفلسفات الوسطية من الكينونة محل التأليه وإن هايدغر يهدف عموما إلى "إقامة نظرية حول الكينونة، يريد أن يتخطى الفلسفات الحديثة التي تناست مشكلة الوجود، ويتخطى الفلسفات الوسطية التي أساءت بمعنى الكينونة" (أحمد، 2006، صفحة 80)، ولا يكون هذا إلا من خلال مقولة الزمان باعتبارها الأصل في كل أنطولوجي، ولذلك نجد جان بوفريه يقول بأن كتاب الوجود والزمان أظهر الوجود في اختلافه مع الموجود تحت أفق الزمان أي

تضمن الدازاين " (مهنانة، 2014، صفحة 45)، يلج هايدغر أن عصر الأنساق قد مضى، وبأن عصر الكينونة انطلاقاً من حقيقة الوجود لم يحن بعد، ذلك أن الميتافيزيقا اليونانية وإن كانت لغتها لغة كينونية بامتياز، إلا أنها ظلت تتعقل الوجود انطلاقاً من الموجود، خصوصاً مع فلسفة أفلاطون التي تقوم في الأصل على مفهوم المشاركة، وإن ما يطرحه هايدغر على الميتافيزيقا "إنما هو سؤال الوجود ومعه سؤال الحقيقة، والمعنى واللوغوس، إن التأمل غير المنقطع لهذا السؤال لا يعيد "ترميم" ضمانات، بل هو بالعكس ينفيها نحو عمقها الخاص كما يقول دريدا" (مهنانة، 2014، صفحة 24).

هكذا ينقل هايدغر مركز الفلسفة من الذات والإنسان إلى الوجود تلك المقولة المنسية من طرف العقل والوعي والإدارة، يسعى هايدغر من خلال مشروع العودة إلى الوجود تجاوز إشكالية الذات والذاتية وجميع التمثيلات الميتافيزيقية عن الوجود والكينونة، وهذا ما عمل عليه بعد أن خلخل تاريخ الفلسفة وفكك تراثها من أفلاطون إلى نيتشه ويقول: "إن تقويض تاريخ الأنطولوجيا مهمة تتطلب الإنجاز" (الدواي، 2009، صفحة 43)، أو بعبارة تلميذه كارل لوفيت: "كان هايدغر يلج على ضرورة الاقتلاع من الجذور والتقويض من الأساس من أجل الوصول إلى ذلك الشيء الذي يكون وحده ضرورياً" (الدواي، 2009، صفحة 44)، إن هذا اللامفكر فيه أي الوجود والكينونة هو إحدى أهم الخصائص التي يتميز بها عن كل المقولات الأخرى، إن نسيان الكينونة هو من صميم الكينونة نفسها ذلك أن الوجود يكتم حقيقته ولا يبوح بها ولعل هذا الكتمان هو الكيفية الأولى لبزوغه، هكذا يمكن القول بأن الوجود هو في الحقيقة انكشاف وبروز، ينمينا هايدغر إلى أن ما نقوله عن "النسيان عادة من حيث هو خسارة وضياح ليس إلا نتيجة للفهم الأفلاطوني الميتافيزيقي (...) إن نسيان الوجود جزء من ماهية الوجود، وهو الجزء الذي يحجب الوجود عن طريقه، إن النسيان من صميم الوجود إلى حد أن فجر الوجود يبدأ بنسيان الوجود" (العالي، 2006، صفحة 28)، والوجود في حقيقته لا يتجلى إلا في اختلافه مع الموجود، إن هذا التمييز الذي يقيمه هايدغر بين الكائن والكينونة والذي يترجمه ليفيناس إلى الإنوجاد والموجود، يجعل من هايدغر يميز الذات والموضوعات، الأولى تترجم بالأسماء أو نعوت فعلية اسمية، الثاني تترجم بالفعل، إن تمييز هايدغر هذا هو بالنسبة لليفيناس الأمر الأشد عمقا في الكينونة والزمان.

2.3 تخريج مسألة الميتافيزيقا في أفق مسألة الانوجاد في العالم.

إن أهمية هايدغر تكمن في أنه قلب التراتبية الموضوعية في الفلسفة الحديثة من أولوية نظرية المعرفة إلى رهان العودة إلى طريق الأنطولوجيا، لقد خرج هايدغر عن نموذج الفلسفة الحديثة (الذات/الموضوع) الذي يتعامل مع الذات كشيء في العالم، إلى التساؤل عن طبيعة وجود تلك الذات، "إن هايدغر يرفض الوعي الاستنباطي بدائرة داخلية شفافة (الكوجيتو وذلوله) فالتفكير في الذات ممكن عنده ولكنه ليس مسألة ذات عارفة ترى ما بدخلها" (بورديو، 2005، صفحة 17)، إذا كان الوجود منذ الحقبة اليونانية لا يعني شيء إلا ما هو حاضر (من الحضور) على أن يكون الوجود محددًا بوصفه حضوراً، فإن هايدغر يتساءل: "هل الوجود شيء؟ هل يكون الوجود هكذا كما بقية الموجودات في الزمان؟، أيكون الوجود بالعموم؟ لو أنه يكون لتوجب علينا أن نقر به بوصفه شيئاً ما موجوداً وبالتالي

لتوجب علينا أن نجده بين بقية الموجودات من حيث هو موجود" (هايدغر، 2018، صفحة 8)، وهايدغر إذ يؤكد بأن الوجود ليس كالموجود وليس شيئاً مطروحاً ميتافيزيقياً من شأنه أن يقر التطابق، فإن التمثل الميتافيزيقي للوجود والذي نجده ميثوثاً بقوة في فلسفة أفلاطون هذا الأخير الذي قدم الوجود بوصفه المثال أو المشاركة من خلال عالم المثل، وأيضاً مع (أرسطو) الذي طابق بين الصورة والوجود، كون أن الوجود هو عبارة عن "إنركيا"، هذا التصور الميتافيزيقي للكينونة سيتحول عند كانط إلى "نظرية" وعند هيجل إلى "فكرة مطلقة" أو إرادة الروح، وعند نيتشه إلى إرادة العقل والقوة من خلال فكرة العودة الأبدي وقبله شوبنهاور الذي تمثل الوجود على أنه إرادة الإرادة (هايدغر، 2018، صفحة 18)، وإن هوسرل الذي هو في نظر هايدغر كان الأقرب من بين الجميع إلى سؤال الوجود خاصة في كتابه "الأبحاث المنطقية"، لم يكن بوسعه أنذاك مقاومة الكانطية التي ألزمته على أن يظل داخل الصرح الميتافيزيقي الفلسفي الممتد من أفلاطون إلى نيتشه، يحاول هايدغر تجاوز الوصف الميتافيزيقي للوجود، بل يحاول أيضاً نقضه من خلال الفصل أولاً بين الوجود والموجود من جهة وإقامة الوجود في أفق الزمان من جهة أخرى، مع تبين خصائص الوجود على أن يكون كتابه "الكينونة والزمان" ليس إلا محاولة تأويلية للعالم من منظور أنطولوجي ولذلك ستجده يتحدث مطولاً على الوجود في العالم وعلى عالمية العالم.

4. الخاتمة:

إن الميتافيزيقا حسب هايدغر تدعى حوز مسألة الوجود كمسألة خاصة، وليس "الوجود والزمان" ما هو إلا ذاك التصيد النقدي للوهم الميتافيزيقي الأصلي، لأن الوجود ترجيع الميتافيزيقا الدوري منذ انبجاس الكلمة اليونانية، وإن قضية نسيان الميتافيزيقا سوف تجبر هايدغر على تحقيق انتقال كبير: من مستوى ماهية الوجود، إلى مستوى حقيقة الوجود، ومن حقيقة الوجود إلى موضعيته. يحاول هايدغر الابتعاد عن مسألة الذات في حديثه عن الكينونة وهذا من خلال مجابهة كوجيطو ديكرت والأنا المتعالية الكانطية، لقد تكلم كانط وبعده هوسرل عن الكينونة لكن داخل ثنائية الذات والموضوع الديكارتية بحيث يلاحظ هايدغر أن كانط مثلاً يتكلم عن الوعي بالكينونة من قبل الدازاين ويربط هذا الوعي بما هو خارجي عن الأنا/الذات، ولذا فهو يشترط وجود الأشياء خارج الذات من أجل بلوغ الوعي بالكينونة، أما هايدغر فإنه يراهن على ما يسميه الكينونة – في - العالم، ففي نظره تمثل الكل البنيوي وتأخذ صفة التمامية، وإنها الهيئة الأساسية للدازاين، وإن هذه الهيئة تتجلى بوضوح في اليومي، ونمط كينونة اليومي يشمل القيل والقال والفضول والالتباس، وإن الكينونة – في - العالم هي منحنية بعد على الدوام، بذلك فإن اليومية الوسطية للدازاين يمكن أن تعين باعتبارها الكينونة في العالم المنحنية المفتحة المقذوف بها، المستشرفة.

5. قائمة المراجع:

- 1- إمانويل كانت، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق، تر: عبد الغفار مكاي، منشورات الجمل، ط1، كولونيا، ألمانيا، 2002.
- 2- إمانويل كانت، نقد العقل العملي، تر: غانم هنا، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- 3- إمانويل كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علماً "أسس ميتافيزيقا الأخلاق"، تر: نازلي إسماعيل حسين ومحمد فتحي الشنطي، دار موفم للنشر والتوزيع، ط1، 1999.
- 4- عمانويل كنط، نقد العقل المحض، تر: موسى وهبة، مركز الإنماء القومي، لبنان، ط1، 1997.
- 5- إيمانويل كانط، الدين في حدود مجرد العقل، تر: فتحي المسكيني، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2012.
- 6- عبدالله إبراهيم، المركزية العربية "إشكالية التكون والتمركز حول الذات"، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط1، 1997.
- 7- جمال محمد أحمد سليمان، الوجود والموجود (مارتن هايدغر)، دار التتوير للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2009.
- 8- رنيه ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، تر: عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1974.
- 9- فال جال، الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، تر: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دس، القاهرة.
- 10- يحي هويدى، دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1968.
- 11- ابراهيم أحمد، إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2006.
- 12- اسماعيل مهنانة، الوجود والحداثة "هايدغر في مناظرة العقل الحديث"، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014.
- 13- عبد الرزاق الدواي، موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر "هايدغر، ليفي ستروس، ميشيل فوكو، دار الطليعة بيروت للطباعة والنشر، دس.
- 14- عبد السلام بن عبد العالي، هايدغر ضد هيجل "التراث والاختلاف"، دار التتوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 2006.
- 15- بيبير بورديو، الأنطولوجيا الأساسية عند مارتن هايدغر، تر: سعيد العلمية، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005.
- 16- مارتن هايدغر، في الشيء الذي يخص التفكير، تر: وعد الرحبة، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2018.

المراجع باللغة الأجنبية:

- 11- Mehta- J- L- the philosophy of Martin Heidegger, Harpariorchbook- New york- london- 1971
- 12-Karnt imanuel- Gritique of pure Reason- tranby : Norman Kemp. Smith- Macmillan and Co- limited, london, 1950
- 13-M. Heidegger- Kant and dasprobleme des Melaphysik band II. Gesamlausgabe- Vittorio KlostennannVerlag, Frankfurt, 1963